الباب الثاني : القواعد العامة لضبط المتشابهات

قبل الحديث عن القواعد الخاصة ، يجدر بنا أن نذكر بالقواعد العامة ، والضوابط التامة التي تعين - بإذن الله - على ضبط المتشابهات ، وهي أصل للقواعد الخاصة . فمن هذه الضوابط العامة :

١ الإخلاص لله تعالى

فكم من عسيرٍ يسَّره الله ﷻ بالإخلاص ، وكم من عقبات ذللها المولى بالتجرد له ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : « إنما يحفظ الرجل على قدر نيته » ، وقال ابن المبارك : « أولُ العلم النية » وهذا في جميع الأعمال ، يقول بعض السلف الصالح : « من عمَّر ظاهره بالسنة وباطنه بالإخلاص، تفجّر في صدره ينابيعُ الحفظ والعلم والفهم، ومن كان علمه بلا إخلاص ، فهو كرجل مسافر يملأ جرابه رملاً يُثقله ولا ينفعه ».

٢ كثرة القراءة والمراجعة الدائمة للقرآن الكريم

ويكفي في ذلك قولُ النبي ﷺ : « **تعاهدوا القرآن فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفصِّياً - أي : تفلُّتاً - من الإبل في عُقلها** » أخرجه البخاري ومسلم .

قال ابن حجر رحمه الله : « المعقَّلة : أي المشدودة بالعقال وهو الحبل الذي يشد في ركبة البعير ، فشبَّه درس القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير الذي يخشى منه الشراد ، فإذا ما زال التعاهد موجوداً فالحفظ موجود ، كما أن البعير ما دام مشدوداً بالعقال فهو محفوظ ، وخصّ الإبل بالذكر لأنها أشد الحيوان الإنسي نفوراً ، وفي تحصيلها بعد استمكان نفورها صعوبة »[(١)] .

---

(١) فتح الباري : ٨/ ٦٩٨ .

قال ابن الجوزي رحمه الله : « الطريق في إحكامه : كثرة الإعادة والناس يتفاوتون في ذلك ، فمنهم من يثبت معه المحفوظ مع قلة التكرار ، ومنهم من لا يحفظ إلا بعد التكرار الكثير ، فينبغي للإنسان أن يعيد بعد الحفظ ليثبت معه المحفوظ »[١] .

وتأمل – أخي الكريم – كيف يحفظ كثير من المسلمين سورة الكهف بسبب قراءتهم المستمرة لها في كل جمعة ، والخلاصة كما قيل :«ما تكرَّر تقرَّر» أي : قرَّ وثبت .

٣ الالتزام بالقراءة في مصحف واحد

أي نسخة محددة ، وذلك ليتسنّى للمراجع حين النسيان أن يتذكر موضع الآية ، ولأن الإنسان يحفظ بالنظر كما يحفظ بالسمع . وستأتي أهمية ذلك في القاعدة السادسة عشرة (الضبط بمعرفة موضع الآية في المصحف) .

٤ حضور القلب والذهن حال القراءة

فالشرود الحاصل عند البعض حال القراءة سبب للتشتت وعدم الإتقان . **ويستحسن لمن نسِّي آية أن يعود فيقرأ ما قبلها بتدبر** ، فإن ذلك ربما أذكره الآية التي نسيها . وقد نظم في هذا المعنى ابن الرومي ، فقال :

وتالٍ تلا يوماً فأُنسِيَ آيةً :: فأعيتْ عليه حين رام انتهازَها
فكرَّ على ما قبلَها متدبراً :: فثاب له فكرٌ فأفضى حجازَها
فشبَّهتُه بابن السبيل تعرَّضتْ :: له وهْدة فاستصعبت حين رازها
فقهقرعنها قِيْسَ عِشرينَ خُطوة :: فجاش إليها جيشةً فأجازها[٢]

---

(١) إعانة الحفاظ ، ٣١ .

(٢) إعانة الحفاظ ، ٧٥ .

٥ قراءة كتب المتشابهات وتدوين الفرائد والفوائد والنظر الدائم فيها

وهذا عنصر مهم ، فقد يسر الله ﷻ لك أخي الكريم من السابقين واللاحقين من كفاك المؤونة واختصر عليك الزمن والجهد ، فما عليك إلا حسن الاختيار والانتقاء الجيد لكتب المتشابهات ، ثم جمع هذه الفوائد والفرائد خصوصاً ما تحتاجه منها ومراجعتها بين الفينة والأخرى

٦ الدراسة على المتقنين والإفادة من علمهم وتجربتهم

فالشيخ المقرئ في الغالب قد تعلّق قلبه بالقرآن ، وتعرّف على المواضع التي تحتاج إلى تنبيه ، وكيف يُرَبط بينها وبين نظيراتها ، وهذه من أعظم الفوائد ، أعني : إزالة المعلِّم للبس الحاصل عند الطالب .

٧ الدعاء والالتجاء إلى الله بالعون والإتقان . فإنه خير معين ومسئول

فبابه مفتوح ، وعطاؤه يغدو ويروح ، وقبل أن يطلب الإنسان الأسباب المادية حريٌّ به أن يلجأ إلى ربه في أن يُيسّر له الأمر، ويحببه فيه ، ويسهله عليه ، قال مطر الوراق رحمه الله في قوله تعالى : ﴿ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾ أي : « فهل من طالب علم فيُعَان عليه » .

٨ ترك المعاصي والذنوب

فقد سئل مالك بن أنس رحمه الله : « **هل يصلح لهذا الحفظ شيء ؟ قال : إنْ كان يصلح له شيء فترك المعاصي** » .

وكتب رجل إلى أخ له : « إنك قد أوتيت علماً فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى في الظلمة يوم يسعى أهل العلم في نور علمهم » . ويكفي حَذَراً وخَطَراً قوله تعالى : ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ﴾ فاتباع خطوات الشيطان سبب لنسيان القرآن .

وقد روى عبد الله بن المبارك عن الضحاك بن مزاحم أنه قال : « ما من أحد تعلم القرآن فنسيه إلا بذنب يحدثه ؛ لأن الله تعالى يقول في ذلك : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ . وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب ».